

الأندية الشعبية

وأثرها في رفع المستوى الاجتماعي

للاستاذ زكي بدوي

مقدمة تاريخية :

لقد شاهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر نمو روح التدمير بين كبار المفكرين بسبب الظروف المؤلمة التي كانت سائدة بين العمال من السكان ، وقد تمت أغلبيتهم أن يسرع تشريع ملائم للضرورات الاجتماعية الحديثة لكي يعالج هذه الحالة ولكن من كانت تجاربهم غنية عرفوا أنه لا القوانين ولا الإحسان ، كما كان يمارس في ذلك الوقت ، بتأديرين على ادخال أي تغيير ملموس على الافراد الذين يعيشون في بؤس شديد وصعوبات دائمة ، نظرا لعبوديتهم الناشئة عن مشاغلهم المادية ، وعندما اشتد هذا القلق أفضى بالضرورة الى نتائج وأوجد مشروعات عديدة كانت بينها الاندية الشعبية .

يقصد بالاندية الشعبية ما يسمونه Settlements بإنجلترا وأمريكا ، وما يطلقون عليه Centres Sociaux بفرنسا وهي أيضا تسمى منازل الشعب هولندا Maisons du Peuple ويرجع أصل هذه الاندية الى كاتون بارنت فقد أسس نادي "توين بي هول" بعد أن اظهرت له مهمته الطويلة التي كان يقوم بها بهويت شابل أحد أحياء لندن الفقيرة أن احسن وسيلة لمساعدة الفقراء لا تقتصر على الحياة لأجلهم ولكن معهم . وفي سنة ١٨٨٤ فتح لسكان الحى منزلا سكن به بصحبة زوجته ومع اختلاطهما بالسكان أحسنا فهم حاجاتهم ومطامعهم فساعدوهم على استعمال أوقات فراغهم وتحسين صحتهم وعلى التغلب على صعوبات الحياة اليومية .

قامت بعد ذلك جان ادامز ، وهي أعظم الشخصيات المشتغلة بالخدمة الاجتماعية بأمريكا ، فأسست نادي "هل هوس" بشيكاجو ثم أسس "ليمان والد" نادي شارع هنري نيويورك . وفي فرنسا أنشأت جان بامو ناديا شعبيا بإيثالوا يبريه كما أسس فيوليه نادي الطاحونة الخضراء بباريس . ومن ثم انتشرت هذه الاندية في جميع أنحاء العالم ، فكانت مستوصفات اجتماعية ومقرات للشغليين بالخدمة الاجتماعية وأندية للحرورين والمنعزلين ومعاهد للتقدم البشري .

تعريف الأندية الشعبية :

عرفت "جان ياسو" الأندية الشعبية بأنها ليست مؤسسات مساعدة ، ولا جماعات من الشبان ، ولا مدارس للمراهقين ، ولا معاهد للصحة ، ولا أندية للرياضة ، ولا مراكز للتسلية ، ولكنها تجمع كل أولئك وأكثر منه . إنها أمكنة اللقاء التي يجتمع فيها اناس من جميع الاسنان ومن جميع درجات التعليم ومن جميع الطبقات لكي يجمعوا ثقافاتهم أو رغبتهم في التعليم أو تجربتهم أو جهلهم تحت صداقة حقيقية ، فيدرسون المشا كل السائدة ويعملون نحو غرض واحد ، لقد ولد النادي الشعبي من عاطفة الاخوة البشرية لا من رعاية فريق من المحسنين ، وقد قالت "مادلين جوجيه" عن النادي الشعبي "انه قبل كل شيء منزل صداقة حيث يجتمع فيه دائماً المتطوعون ، يعيشون وسط العلاقات كما يعيش سكان الحى فيعرفون حاجاتهم مهما خفيت ، ويحاولون خدمتهم ، ويبدلون كل ما في وسعهم الى هؤلاء الذين أقبلوا عليهم ليتخذوا منهم أصدقاء .

ليس النادي الشعبي مؤسسة واحدة ، ولكنه عدة مؤسسات وخدمات غرضها مساعدة الأسرة وانتشالها في الأوقات العصيبة ، ثم السير بها شيئا فشيئا نحو إشعارها بكرامتها وبقيمتها وتعودها أن تكفى نفسها بنفسها .

وليس هذا النادي أيضا بمؤسسة للمساعدة فلا تعطى به صدقة. ولكن تدرس أسباب الفاقة البدنية والأخلاقية ثم تبذل كل محاولة ممكنة لمعالجتها بجميع الوسائل ، ودعائم الأندية الشعبية هي الأسرة والثقة والصداقة .

فالأندية الشعبية هي على العموم عبارة عن كائن متحرك ، ولذلك صعب تعريفها لأن الحياة تعبر عن نفسها ولا تستطيع أن تعرف نفسها .

نشاط الأندية الشعبية :

بينما يقوم أغلب منشآت المساعدة والتعليم بمعمل محدود موجه نحو جمهور خاص ، اذ بالنادى الشعبي يشمل جميع نواحي النشاط المختلفة ويقبل جميع طبقات الجمهور . قد يلوح أن في هذا الاختصاص الواسع مبالغة ولكنه في الواقع يتمشى مع المنطق ، فما دامت الحياة واحدة رغم مظاهرها المركبة ، فلا يكون أى عمل منتجا أو ذا أثر إلا اذا سار حتى أصول الأفراد وتوصل الى مصدر المشا كل . لذلك كان شعار الأندية الشعبية إصلاح الحياة بالحياة .

يتم النادي الرياضى بتعليم الرياضة ، والمعهد الموسيقى بتعليم هذا الفن وحده ، وتستقبل رياض الأطفال ومعسكرات الشباب أفرادا من سن معينة . وكذلك توجه الجمعيات الدينية والسياسية والنفابات نحو طبقة خاصة دون أخرى .

أما الأندية الشعبية فلا تخصص، وإذا كان برنامجها الانساني يتشدد في وضع مبادئ عن النظام والأسرة والوطنية فإنها تظل مفتوحة للجميع وتوجه جهودها في جميع الميادين التي يمكن أن تستفيد منها .

ليس النادي الشعبي مجموعة جهود متعددة ، ولكن هذه الجهود متداخلة كلها بعضها في بعض ووسيلة حية للإصلاح مكونة من ثلاثة جوانب فردية وأسرية واجتماعية .

إنه لا يرى الفرد كسألة قائمة بنفسها ، بل يضعه في بيئته ، فالمسائل المتعلقة بالصحة وال عمران ونظام العمل وتنظيم أوقات الفراغ والحالة الخلقية يتداخل بعضها في بعض حتى يتعذر تعيين حدود ثابتة لها . وحتى إذا اضطر النادي الى الاستعانة ببعض الاختصاصيين لمعالجة كل مشكلة ، فإن تعاونهم هو الذي يؤدي إلى حلها .

ليس للأندية الشعبية برنامج محدد ، وما دام غرضها الوحيد هو الخدمة العامة فهي تتسجم مع كل بيئة ، فتبحث في كيف يمكنها أن تكون مفيدة حقا . وفي البحث المقرون بالمحبة يجد الانسان دائما ما يبحث عنه .

وتتعدد أنواع الأندية الشعبية وفقا لكل عصر ولكل أمة . فقد نشأت أندية شعبية مختلفة بعضها عن بعض ، ففي بعض الممالك الزراعية قامت هذه الأندية في الريف وعملت على تنظيم دروس في الزراعة وفلاحة البساتين كما أنشأت مستوصفات . وفي المدن الصناعية قامت الأندية الشعبية باعطاء دروس صناعية لصغار الصناع واهتمت برعاية الأطفال الرضع والأولاد والمراهقين ، كما أنشأت ملاعب للرياضة ورياض لأطفال ومكاتب للطالعة الى غير ذلك .

وكانت هذه الأندية تراعى في كل ذلك وقبل كل شيء حالة السكان الذين تتوجه اليهم لأنها ليست بشيء مادي ولكنها عبارة عن كائن متحرك .

أغراض الأندية الشعبية :

يصعب علينا أن نحصر الأغراض التي تعمل الأندية الشعبية على تحقيقها ، ولكن يمكننا أن نلخص المبادئ العامة التي تسعى لتحقيقها بشئ الطرق فيما يلي :

١ - العمل لتزويد عن الشعب باستخدام النادي مكانا للسمر البريء وشغل أوقات الفراغ ببيئة ألعاب التسلية كالبنج بونج والشطرنج والطاولة ، والألعاب الرياضية كالملاكمة والمصارعة ورفع الأثقال ، وإذا وجد متسع من الأرض فيخصص مكان لكرة القدم وكرة السلة كما تخصص قاعة لمطالعة الصحف وقراءة الكتب ، وأخرى لسماع الراديو والفونوغراف وثالثة لدروس القراءة والكتابة .

تكون بجانب ذلك وفنا لميول الأعضاء فرق للموسيقى أو التمثيل أو الكشافة أو الرحلات وتقام حفلات رياضية وحفلات سمر شهرية أو أسبوعية يقوم أعضاء النادي بالجانب الأكبر منها .

٢ — العمل على مساعدة سكان الحى بطرق مختلفة منها الزيارات المنتظمة للنازل التي تقوم بها الزائرة الصحية لمساعدة الأمهات في ظروف خاصة كالوضع والعناية بالطفل وتنظيف المنزل وإعداد الطعام للأسرة أثناء هذه الفترة وكالعناية بالأطفال المرضى وأخذهم للمعالجة في المستشفيات العامة .

وعلاوة على ذلك تقوم الزائرة الصحية في الأحوال العادية بإرشاد الأمهات في كل ما يتعلق بالتدبير المنزلى والمشاكل العائلية والمسائل التي تمس نظام الأسرة كإرشاد الوالدين الى طرق ضبط النسل للتخفيف من الذرية الكثيرة .

وكذلك تهتم الأندية الشعبية بتلقين أعضائها طرق العناية بالصحة بمحاضرات ودروس عملية، كما أنها تحتفظ بسجل بأسماء العيادات والمستشفيات المجانية في المنطقة لإرسال مرضاها اليها . وتحاول بعض هذه الأندية أيضا حل مشكلة البطالة بين العمال كما تخصص جانبا من وقتها لتوجيه الأولاد الى الصناعات المختلفة .

٣ — العمل على رفع المستوى الفكري، وذلك بإعداد دراسات ليلية ذات برنامج خاص يرمي الى توسيع مدارك أفراد الشعب وتثقيفهم دون أن تتخذ هذه الدراسات شكلا مدرسيا قد لا يستسيغه البالغون الذين يصرفون أغلب نهارهم في العمل المرهق .

وترتيب محاضرات لتبسيط المشاكل التي تمس الطبقات الفقيرة كالعناية بالأسرة وتربية الأبناء والعمل على بث الأخلاق بينهم وترغيبهم في الاطلاع على أساليب الحكم المحلى ونظم الدولة ، وتقريب أوجه النظر بينهم وبين الذين يعملون لهم .

ولا تعنى الدروس والمحاضرات في الأندية الشعبية قيام أساتذة ممتازين بالمعرفة يأتون لمجرد تأدية واجب فيلقون علمهم المتخوم المشبع بروح الكتب ، البعيد عن الحياة . ولكن يضم النادي أصدقاء يتبادلون روح أخوية ثرواتهم العقلية . والواقع أن كثيرا ممن يعطون علمهم يحصلون أكثر مما أعطوا .

٤ — العمل على درس مشاكل الحياة بين الطبقات الفقيرة في الأمة ، وهى مشاكل لا تيسر دراستها بغير الاتصال الشخصى وفي جو من الثقة المتبادلة والاخلاص بين الاخصائى الاجتماعى وأفراد الطبقة التي يعمل بينها ، وتمكن هذه الدراسات الاخصائى الاجتماعى من الحصول على وجهات نظر في الحياة عظيمة الأهمية ؛

ودرس العوامل القوية المؤثرة في حياة الأمة وخاصة في طبقاتها الفقيرة التي لها أعظم الأثر في توجيه هذه الجماعات في حياتها الاقتصادية والفكرية والسياسية ، ثم العمل على تحديد الأهداف التي يحاول النادي تحقيقها إزاء هذه القوى والعوامل المؤثرة في الأفراد والجماعات .

الأندية الشعبية في مصر :

أنشئت بمصر في أول الأمر عدة مؤسسات أجنبية تقوم ببعض مهام الأندية الشعبية . ثم فكر عدد من المصريين المهتمين بالإصلاح الاجتماعي في إنشاء ناد شعبي بالقاهرة ونفذوا فكرتهم سنة ١٩٣١ واختاروا لناديهم مكانا في حي الطيب بالسيدة زينب وأطلقوا عليه "محللة الرواد" .

وكانت أولى العقبات التي اصطدمت بها المحللة هي إعداد العضوية . فحصرها الرواد فيمن كانت سنهم بين الثانية عشرة والعشرين . وكان هؤلاء يظنون أن الرواد جماعة من المبشرين أو جماعة سياسية حكومية تطلب تعضيد الشعب ، الى أن اتضح لهم من وقائع الحال استعالة هذه الأغراض .

رتب الرواد بالمحللة برنامجا للاهَاب الرياضية التي تمارس في حيز ضيق كرفع الحديد والمصارعة والملاكمة والبنج بونج ، وآخر يشمل التعاليم الصحية ، والأحاديث في التاريخ الوطني وفي بعض المعلومات العامة التي تصادف الأفراد في حياتهم اليومية .

وأنشأ الرواد كذلك ما يشبه مدرسة ليلية تعلم مبادئ القراءة للأمين ، ثم فصلا آخر لغيرهم حتى لا ينسوا القراءة والكتابة ، كما كانوا يتلقون أيضا مبادئ الحساب والرسم .

والى جانب هذا يعمل الأطباء من الرواد على علاج أمراض الأعضاء وذوى قرباهم ، غير أن أبرز ناحية في عمل الرواد هي الصداقة التي نشأت بين أعضاء المحللة والرواد ، فقد كان لتلك الصداقة أثر كبير في تغيير وجهة نظرهم في الحياة وفي رفع مستواهم الفكري .

وقد اتجهت نية الحكومة أخيرا إلى الإصلاح الاجتماعي وخاصة في محيط الطبقة العاملة التي تحتاج الى معوتها ، لذلك تضمنت ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية مبلغ عشرة آلاف جنيه لإنشاء مركز اجتماعي للعمال بالقاهرة ، كما طلب أيضا صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء من سعادة محمد حسين باشا محافظ الاسكندرية أن يسعى في إنشاء ناد للعمال في هذه المدينة يضم الناهضين منهم ويسهل لهم بعض سبل الحياة .

وقد أخذ سعادته في البحث في هذا الأمر وما يجب اتخاذه من التدابير لتنفيذه ، وينتظر إنشاء ناديين في المناطق التي يكثر فيها العمال كمنطقة الحضرة والظاهرية .

ويشمل مشروع النادي إنشاء مطعم وجناح للاستحمام، ومكتب وملاعب مع إيجاد ما يلائم العمال من وسائل الثقافة والتهديب .

وأغلب الظن أن المطعم والحمامات ستكون على غرار المرافق التي أنشئت بمؤسسة عمال سكة حديد الرمل الكهروبائية بمصطفى باشا ، غير أن هذه لا يتفجع بها العمال إلا أثناء عملهم ، كما أن صالة ألعاب التسلية والبيارد والبنج بونج لا تستعمل إلا في الحفلات ، فضلا عن أنها أنيقة جدا بحيث يشعر العامل بأنها غريبة عنه ، وعلاوة على ذلك فليس هناك إحصائي اجتماعي لإدارتها والإشراف عليها .

فكل منا يرجو من صميم قلبه سرعة تحقيق هذا المشروع وتعميمه حتى يستفيد منه أكبر عدد من العمال ، فهذه الطبقة في حاجة شديدة الى الرعاية والاهتمام ما

زكى بدوى

أستاذ بمدرسة الخدمة الاجتماعية

— آس ثم انصح .

— الطلاق حلال عليه بشاعة الحرام ، وحق يشره اليه اللثام ، ويكره عليه الكرام .

— يتقى الناس بعضهم بعضا في الصغائر ، ولا يتقون الله في الكبائر .

— الغنى مع الفقير في كبد ، إذا تمتعه حمد ، وإذا أعطاه حقد .

— بين الحلم والخور جسر أدق من الصراط .

— إذا صدقت النية فكل مذهب جميل ، وكل رأى أصيل .

— لا يقع الملق إلا في نفس غرير أو مخرور .

— من أخل بنفسه في السر ، أخلت به نفسه في العلانية .

— الجماعات مطايا أهل المطامع تبلغهم إلى منازل الشهرة .

شوقى